بسم الله الرحمن الرحيم

دور دواوين العائلات وأثرها
في الحياة الثقافية والاجتماعية في مدينة نابلس

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

اعداد

المهندس عماد كاظم كمال

المهندس معاذ "محمد بشير" الطاهر

تجمع دواوين عائلات الديار النابلسية

ورقة مقدمة لمؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس

جامعة النجاح الوطنية

2012

دور دواوين العائلات وأثرها
في الحياة الثقافية والاجتماعية في مدينة نابلس

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

مقدمة:

يعتبر الترابط والتماسك الاسري من الصفات الاصيلة في المجتمعات العربية والاسلامية على مر التاريخ، وأصبحت هذه الصفة مميزة من مميزات تكوين هذه المجتمعات، وانعكس هذا الترابط من خلال تجمع العائلات والقبائل مع بعضها البعض للحفاظ على كيانها وخاصة مع تمددها وزيادة عدد أبنائها وانتشارهم في الاسقاع، لذلك ظهرت أماكن محددة مثل الدواوين والمضافات للقاء أفراد العائلة الواحدة مع بعضهم البعض، اضافة الى استضافة والترحيب بالضيوف بشكل جماعي يدل على وحدة العائلة، وفي العادة كان هناك رجل يدعى شيخ القبيلة او كبير العائلة يكون بمثابة رئيس لها وهو شخصية محترمة، يحترمه ويقدرة الجميع. وقد كانت في السابق تتخذ من بيت شيخ القبيلة أو كبير العائلة مكاناً تنظر فيه شؤونها وتتابع أمورها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومنه تنطلق قراراتها ويرجع له ابناء العائلة او العشيرة في كل شؤونهم وأحوالهم، وتطورت هذه المضافات من كونها جزأ من بيت لتصبح اماكن مستقلة خاصة بهذا الغرض ووبهذا نشأت الدواوين العائلية بعد أن كانت في البداية عبارة عن مضافة في بيت شيخ العائلة أوكبيرها.

الدواويين والمضافات العائلية:

تعرف المضافة بأنها مكان عام يستقبل فيه الضيوف، والأقارب والجيران والأصدقاء، فيها يتم مناقشة الأحداث، وتبادل الأحاديث، وممارسة النشاطات الاجتماعية والسياسية. وتتكون المضافة في العادة من غرفة واسعة منفصلة او ذات مدخل مستقل عن مدخل البيت، ومفروشة بالحصير والبسط وفرشات الصوف ومساند القش، لتوفير أقصى درجة من درجات الراحة، وكان عدد المضافات يتوقف على عدد العائلات، وقد يكون للعائلة الواحدة أكثر من مضافة.

وبينما تكون المضافة في الغالب مُلكا خاصا لشخص يعتبر شيخ العائلة أو وجيه في العائلة، فان الديوان يعتبر مُلكا جماعيا للعائلة او لعدة عائلات، يساهم الجميع في إقامته وخدمته ورعايته، والديوان مكان اكبر من المضافة، وبه مطبخ ودورات مياه، ويتسع لإقامة المناسبات الاجتماعية لكافة أفراد العائلة، وفيه يجتمع إفراد العائلة لمناقشة أمور حياتهم اليومية، والعائلة كلها (أو من يستطيع منهم) ملزمة بتقديم واجب الاضياف، من طعام وشراب ومنام وإجارتهم وتوفير الحماية لهم، وتلبية دعوتهم للمشاركة في جاهات الصلح أوالعطوات مع العائلات الأخرى.

أصل كلمة الديوان:

كلمة ديوان هي كلمة معرَّبة عن الفارسية تم تعريبها، وقيل ان عمر بن الخطاب ادخلها عام 627م، فهي ليست كلمة حديثة الاستخدام، واستعملت لتدل على مكاتب بيت المال، واستعملت للدلالة على الحكومة في عهد الخلفاء العباسيين، كما استعملت لتدل على مكان تجمع وإدارة شؤون هيئة سياسية ما،

مثل الديوان الملكي الذي يجمع موظفين يديرون شؤون القصور الملكية وأمورها الإدارية، وديوان الشعر الذي يعني الكتاب الذي تجمع فيه قصائد شاعر او شعراء، وتطور استخدام كلمة ديوان لتعني مكان تجمع أفراد ومشايخ العشيرة، ذلك ان ازدياد عدد أفراد العشيرة استدعى استقلال المضافة عن بيت شيخ العشيرة، وتطورت بذلك المضافة لتصبح "ديوان".

نشأة الدواوين في مدينة نابلس:

اعتاد الفلسطينيون ومنهم النابلسيون منذ القدم على اقامة الدواوين أو مجالس العائلات، وهى مجالس تقام فيها المناسبات المختلفة من افراح واتراح، وفيها كان يبيت الضيف سابقا ولها يلجأ الثوار وحسب قوانينها تحل الخلافات بين المتخاصمين، وفيها تعرف حدود الله وينصف المظلوم ويعاقب الظالم بما يسمى(بقعدة العرب) التي اشبه ما تكون بالمحاكمة العلنية بحضور حكماء العشيرة.

وتعتبر مدينة نابلس من المدن الفلسطينية المكتظة بالسكان والعمران في آن واحد معا، حيث يسكن هذه المدينة أكثر من مائتي ألف نسمة ينتمون لمئات العائلات الفلسطينية سواء أكانت هذه العائلات من أصل نابلس خالص أو ذات أصل فلسطيني من القرى أو المدن الفلسطينية الأخرى سكنت نابلس منذ مئات أو عشرات السنين.

وقد تتوزع أسر أفراد العائلة على مواقع سكنية متباعدة فتسكن أسرة أحد الأفراد في الجبل الشمالي (عيبال) وقد تسكن أسرة شخص آخر في الجبل الجنوبي (جرزيم – أو الطور)، وإزاء هذا الوضع فقد أحست وشعرت معظم العائلات في نابلس أنها بحاجة ماسة إلى ملتقى أو مكان تجمع يربط أسرها وأفرادها ببعضهم البعض ويساعد على زيادة تماسك وتكافل المجتمع على مستوى المدينة.

وقد عملت هذه العائلات على إيجاد (الديوان العائلي) الخاص بكل عائلة على حدة لتقوية أواصر القربى والتآخي والتآلف والتسامح .

ولوحظ في الآونة الأخيرة ، ظاهرة انتشار الدواوين العائلية النابلسية حيث يرى المتجول في حارات وأزقة وشوارع نابلس اليافطات التي تحمل اسم (ديوان آل كذا – إسم العائلة) كتبت بخط عريض وبارز .

وقد ظهرت في نابلس الدواوين المرتبطة بالعائلات كديوان تفاحة وشاهين والنمر وطوقان ، إضافة الى ظهور نوع من الدواوين اقرب للمضافات ارتبط اكثر بالاشخاص، خاصة الاشخاص ذوي المال والنفوذ (في منتصف القرن العشرين)كديوان أحمد الشكعة وديوان الحاج معزوز المصري وغيرهم ، وحديثا ظهرت الدواوين التي انشاتها بلدية مدينة نابلس والمرتبطة بالمناطق والاحياء كديوان الياسمينة وديوان القصبة وديوان الضاحية على سبيل المثال لا الحصر، وقد أنشئت البلدية هذه الدواوين لاحتضان المناسبات الاجتماعية لاهل الحي أو الحارة ، وهنالك دواوين لعدة عائلات لها صلة قرابة كدواوين(ديوان سالم وعاصي وقادري وابوزهرة وديوان العائلة الذي يضم عائلات حاج حمد وخلفة وسعادة وديوان سقف الحيط وانسبائهم)

وفيما اقتصرت الدواوين قديماً على العائلات الكبيرة فلم يتجاوز تعدادها عدد العائلات الكبيرة في المدينة، إلا إن هذا العدد اخذ يزداد بازدياد عدد إفراد لاعائلة الواحدة، ووفود عشرات العائلات المهاجرة من المناطق المحتلة عام 1948م، ومن باقي المناطق الفلسطينية بعد عام 1967م . وافتتح هؤلاء المهاجرين

والوافدين -بعد ان استقروا نهائيا في نابلس- دواوين خاصة بهم وخاصة في المخيمات الموجودة داخل مدينة نابلس.

وكان الديوان كالمضافة يحتوي على فرش يوفر أكبر قدر من الراحة للزوار، فتنتشر في أنحائه الوسائد التي تصف بطريقة مميزة لتستخدم كمساند للإتكاء عليها، لكن مع ازدياد عدد سكان نابلس، وازدياد عدد افراد العائلة وتغير طبيعة الحياة، لم يعد مناسبا فرش الديوان بالحصير، واستبدل ذلك بالكراسي والكنبات الثابتة، كما تم تزويد الديوان بمكيفات للهواء لراحة الزائرين. وتم استبدال الدواوين القديمة باخرى واسعة وجديدة. وتوزع عادة نفقات البناء والتجهيزات على الرجال الذكور من أبناء العائلة الذين يحملون الهوية وتخطوا السنة السادسة عشرة من العمر.

كما تم انشاء دواوين جديدة، وتحديث القائم منها، وهدم البعض منها واعادة بنائها من جديد.

عادات في الديوان:

اعتاد الناس في نابلس على الاجتماع في الديوان عند ساعات العصر حيث يبدأ أفراد العائلة (الذكور) بعد الانتهاء من العمل بالتوافد على مقر الديوان العائلي الخاص بهذه العائلة أو تلك، والذي عادة ما يتكون من شقة كاملة تقوم العائلة باستئجارها أو شراءها وتستمر اللقاءات المفتوحة حتى ساعات متأخرة من الليل ، وفي رمضان يتجمع الجميع قبل الإفطار أو بعد صلاة التراويح التي تعقب صلاة العشاء وقد يتم فيها في بعض الاحيان الافطارات الرمضانية.

وعند المساء يجتمع الأقارب والأصدقاء يتبادلون الأحاديث والنقاشات في شتى المواضيع الاجتماعية أو الاقتصادية ، إما بشكل جماعي كلي أو جزئي . وأثناء ذلك يقوم الأفراد باحتساء المشروبات الساخنة كالشاي والقهوة والكاكاو واليانسون أو المرطبات وغيرها، ويصاحب ذلك شرب الشيشة والمعسل والدخان وخلافه. وفي العادة يكون لكل عائلة عميد يتحدث وينطق باسم العائلة يلجأ إليه كافة أفراد العائلة لمساعدتهم في تسهيل أمورهم وقضاء حاجاتهم المتنوعة، وغالبا ما يكون عميد العائلة أو كبيرها من ذوي النفوذ السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المدينة .

منذ دخول القهوة كمشروب في المجتمعات العربية، تشكلت طقوس وعادات لتناولها، حتى أصبحت رمزاً للكرم والضيافة الاصيلة عند العرب، فهي أول ما يقدم للضيف. وللقهوة عادات وتقاليد كثيرة منها أن يكون مُقدّم القهوة واقفا، وأن يمسك "الدلة" باليد اليسرى والفنجان باليد اليمنى. كما ويجب أن تقدم القهوة للضيوف بدءاً من اليمين اقتداء بالسنة السنبوية الشريفة، وأحيانا يستثنى من على اليمين، وتقدم اولاً للشيخ أو للضيف الغريب أو للوجيه أو للكبير بالعمر، ومن ثم من يليه على اليمين. ويقدم المضيف فنجان القهوة لضيفه باليد اليمنى، ولا يملؤه بالكامل (ثلث الفنجان فقط)، ولا يتوقف عن صب القهوة إلا عندما يقوم الضيف بهز الفنجان دلالة على الاكتفاء، ومن مهارة صبّ القهوة، إحداث صوت خفيف نتيجة ملامسة الفنجان للدلّة، ويُقصَد بهذا الصوت تنبيه الضّيف إذا كان شارد الذهن. ويعد الامتناع عن شربها عارا وعيبا اجتماعيا، إلا إذا كان الامتناع عن شربها مرتبط بطلب ما، كالخطبة والصلح. فكان الضيف يضع فنجان القهوة على الأرض ولا يشربه، فيلاحظ المُضيف أو شيخ العشيرة ذلك، فيُبادره بالسؤال عن حاجته، فإذا قضاها له، طلب منه ان يشرب القهوة. وإذا امتنع الضّيف عن شرب القهوة، وتجاهله المضيف ولم

يسأله ما حاجته، اعتبر ذلك انتقاصا من قيمته ومنزلته الاجتماعية. واذا لم تقدم القهوة لاحد الضيوف، اعتبر ذلك اهانة وعدم تقدير واحترام له.
وكان من العادة قديما ان يشرب المُضيف (مقدم القهوة) فنجانا من الدلة أمام الضيف، حتى يطمئن الضيف بأن القهوة سليمة.
وتصنع في المضافة القهوة السادة، وتوضع أباريق القهوة في موقد النار الذي كان يصنع في البداية من الطين، وفيما بعد من صفائح الحديد، ويوجد في المضافة عادة محماسة القهوة والمهباش وصينية نحاسية كبيرة عليها فناجين القهوة السادة.
وتعد أدوات تحضير القهوة السادة التي تعبق بعبير ومذاق الهيل من أبرز الأدوات التي يتضمنها الديوان، ويتم تحضير القهوة العربية على موقد مخصص لهذا الغرض في جانب من الديوان أو في غرفة صغيرة ملحقة به، وعادة ما يكون فردا من العشيرة مختصا بمهمة تحضير القهوة للضيوف، وتتكون أدوات تحضير القهوة من أباريق متدرجة الأحجام من النحاس (تسمى دلال ومفردها دلّة) ذات أغطية ومقابض طويلة وفتحاتها معكوفة الى الأسفل، وتُقدم القهوة بعد تحضيرها في فناجين صغيرة بيضاء من الخزف الصيني.
وفي انتفاضة عام 1987م كانت تقدم القهوة والتمور للمعزين بالشهداء، ودرج في دواووين نابلس منذ ذلك الحين على تقديم التمور مع القهوة السادة في مناسبات العزاء.
اما بالنسبة لمصاريف الديوان على بعض الإصلاحات الخفيفة وعلى مصاريف الكهرباء والماء ومصاريف شرب الشاي والقهوة من قبل فراد الحامولة وللضيوف في غير فيتم جمعها في مناسبات الأعياد وتقدم كعيدية للديوان من كل منتسب للديوان وحسب استطاعته ولا يحدد فيها أي مبلغ.
وحافظت الدواوين على أهميتها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحديثاً أصبحت الدواوين واحدة من مؤسسات المجتمع المدني الذي يلعب دورا بارزا في الحياة اليومية لأهالي مدينة نابلس، بل نستطيع القول بأن الديوان أصبح المحرك الرئيسي والقوة المرجعية للكثير من القرارات، حيث يقوم بمتابعة قضايا العائلة او الحامولة مع الجهات الحكومية، وترشيح ابناء الحامولة لخوض انتخابات المجالس البلدية والنيابية، وتلتزم الدواوين عادة بدعم مرشحيها. وتفتح بعض الدواوين أبوابها كل يوم، وبعضها الآخر يفتح أبوابه في المناسبات الاجتماعية فقط والدينية فقط، ويصل عدد الدواوين في نابلس حوالي ستون ديوان عائلة ، وهي كما يلي(حسب الترتيب الابجدي):
ابوزنظ، ابوعودة، ادهم وسختيان ،استيتية، الاغبر، بريك، بعارة، تفاحة، التميمي، الجابي، الجوهري، حسونة، حسيبا، حلاوة، الحنبلي، الخاروف، الخليلي، خماش، الخياط، الدردوك ،دويكات ، الرطروط ، سالم وعاصي وقادري وابوزهرة، سعد الدين، سقف الحيط وانسبائهم ، الشافعي، شاهين، الشخشير، الشريف ، الشكعة، الشنار، الصدر، الطاهر، طبيلة، طحان وعنتر، طوقان،العائلة (حاج حمد وخلفة وسعادة)، عاشور، عبده، عرفات، العطعوط، العقاد، العكر، العنبتاوي، العنبوسي، فتوح وحمدان، فريتخ، فطاير، قمحية، قناديلو، كلبونة، كمال، كيلاني، المصري، مقبول، النابلسي، نمر، هاشم، هواش، يعيش.

وظيفة الديوان في الماضي في مدينة نابلس:

وقد شكل الديوان ركناً أساسيا في حياة أهل نابلس والمنطقة على مر الزمان، وهو أشبه بنادٍ كان يجتمع فيه ابناء العائلة فيه وخاصة الرجال معظم ايام السنة (سابقا)، وكذلك في المناسبات كالأعياد والأعراس والأحزان والمناسبات السعيدة، واستقبال الضيوف والجاهات، أخذت العائلات على اختلاف أسماءها ومشاربها تعمل على إنشاء الدواوين الخاصة بها لتحقيق عدة أهداف، وقد برزت أهمية المضافة في أنها كانت:

1. مركز الضيافة لكل فرد من العائلة، وفيها يتم استقبال الوجهاء والمخاتير وممثلي الحكومة والضيوف، وقد كان ينزل فيها الغرباء القادمين في البلدات الاخرى، فيحل ضيفا على العائلة، حيث يقدم له الطعام، وتتعاون العائلات في توفير الطعام للضيوف، حيث كانت تقوم كل عائلة بتقديم الطعام للضيوف بالتناوب، وكذلك القهوة والحطب والعلف للخيول (خيول الضيوف)، وكان من العادة ان ينام بعض أفراد العائلة مع الضيوف لأشعارهم بانهم من الاهل، وليسوا غرباء.
2. مكان للسمر(مقهى العائلة): حيث يسهر فيه رجال العائلة ويتبادلون الأحاديث ويشربون فيه الشاي والقهوة، ويتبادلون الاخبار والحكايات.
3. مكان للمناسبات الاجتماعية المختلفة كالأعراس، الأعياد، العزاء بفقيد، الإفراج عن سجين معتقل، عودة المسافر بعد غياب طويل.
4. مكان للتجمع والتشاور لاهل العائلة: فالديوان العائلي مركز لتجمع أفراد العائلة الواحدة يتيح فرصة التشاور العائلي في كافة الأمور الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية واتخاذ القرارات المناسبة.
5. الحفاظ على كيان العائلة : حيث تسعى العائلة إلى المحافظة على كيانها ووجودها وزيادة تأثيرها الاجتماعي والاقتصادي الفعال في المدينة من خلال ترابطها وتوحد ابناءها وبقائهم على اتصال مباشر ويومي.
6. تقوية العلاقات الاجتماعية : خاصة للعائلات كبيرة الحجم فهناك عائلات يبلغ عدد أفرادها المئات أو الآلاف ، وأفرادها لا يعرفون بعضهم البعض ، فأنشأ الديوان العائلي كمركز للتجمع العائلي بهدف زيادة وتنمية التماسك الاجتماعي بين أبناء العائلة الواحدة . فأصبح الديوان العائلي في نابلس يستخدم لإقامة مناسبات الأفراح والأتراح كإقامة حفلات الخطوبة والزواج والإفراج عن أحد المعتقلين من السجون الصهيونية . فمثلا يجتمع أفراد العائلة من الرجال والنساء ، كل على حدة ، لإحياء حفلات الزواج حسب العادات والتقاليد المتعارف عليها لدى العائلة . وكذلك يستخدم النابلسيون الديوان العائلي لفتح بيت الأجر (العزاء) واستقبال المعزين .
7. تقوية العلاقات الاقتصادية : حيث يجتمع أفراد العائلة ومن بينهم فئة التجار يخططون وينسقون فيما بينهم لتقوية تجارتهم وإزدهارها . وفي بعض الأحيان يقوم أفراد العائلة الموسرين بتقديم المساعدات بعد تفقد أحوال أقرباءهم المعسرين والوقوف إلى جانبهم في الصعوبات والملمات . أي أن الديوان العائلي قد أصبح يستخدم للتكافل الاقتصادي في بعض الأحيان .

8. النشاطات الثقافية : تستخدم بعض إن لم يكن معظم الدواوين العائلية في نابلس لممارسة النشاطات الثقافية كالقراءة والمطالعة والمناقشة لصحف والمجلات والكتب . وبالإضافة على ذلك ، فإن أفراد العائلة غالبا ما يمارسون لعبة الشطرنج أو السيجة أو الدومينو أو غيرها من الألعاب المسلية التي تروح عن النفس.
9. حل المشاكل : ويستخدم الديوان العائلي في نابلس وبشكل كبير لحل المشاكل الاجتماعية إن وجدت – بين أفراد العائلة الواحدة – أو بين العائلة والعائلات الأخرى، وهو أيضا مكان لإصلاح ذات البين، وحل الخلافات بين الناس .
10. تنظيم الإفطار الرمضاني الجماعي وفق الشريعة الإسلامية في شهر رمضان المبارك .
11. الترويج الانتخابي لمرشح العائلة في الانتخابات البلدية أو البرلمانية ودعم مرشحين آخرين متحالفين مع العائلة لضمان التصويت لشخص أو قائمة حزبية معينة .
12. تكريم أسر وعائلات الشهداء الذين قضوا نحبهم وهو يدافعون عن حمى فلسطين .
13. الديوان بمثابة نادي ومكان لقاء وتجمع أبناء العائلة الواحدة على مختلف أعمارهم، مما يؤدي إلى تجمع ثلاثة إلى أربعة أجيال في نفس المكان والزمان، الأمر الذي يخدم قضية توارث نواميس التراث الشعبي من عادات وتقاليد أصيلة، فكل جيل يأخذ عن الجيل السابق هذه العادات والتقاليد من خلال التعلم المباشر من كبار السن، ومحصلة ذلك المحافظة على التراث الشعبي الايجابي لأفراد العائلة.
14. من الفوائد والخدمات الايجابية التي تقدمها هذه الدواوين خدمة المسنين من أبناء العائلة، خاصة في غياب بيوت المسنين، فتصبح الدواوين مراكز لهم في الحديث والنقاش في الأمور السياسية والدينية والاجتماعية، مما يسهل عليهم التغلب على وقت الفراغ الذي يشعرون به وهم في هذه السن المتقدمة، كما أن الشباب من جانبهم يجدون في هذه الدواوين مكان لقاء وتجمع لمناقشة ومتابعة الأمور التي تهمهم، إضافة إلى ممارسة بعض الأنشطة المسلية لهم قدر المستطاع.
15. والديوان مدرسة يتعلم فيها الأولاد ويتدربون وهم في سن صغيرة على كيفية التعامل مع الناس، على أساس القاعدة الشعبية وهي التقليد، بمعنى: "انظر كيف يعملون.. واعمل مثلهم". ويجلس الشاب في الديوان ليتعلم مجموع العادات والممارسات والقيم عن طريق الملاحظة البحتة وبعض الإشارات والتلميحات، التي تؤهله للانخراط مستقبلاً في مجتمع الرجال، والتكيف بسهولة مع الحياة. فهو يعتاد على احترام المختار والوجيه وكبار السن، والضيوف الغرباء. ويتعلم ان يجلس في مجلس الرجال بطريقة لطيفة، وإذا طلب من هو أكبر منه سناً أن يعمل شيئا فليفعل، وعندما ينتهي الرجال من تناول الطعام عليه أن يتناول الإبريق ويصب الماء على أيدي الضيوف.. الخ.
16. احوال كل الدواوين في البلدة وفي هذا الديوان كانت ولا زالت تحل العقد وتعقد راية الصلح بين المتخاصمين
17. .يستمع كبير العائلة لأخبار العائلة والبلد و"يتفقد جميع الرجال ويسأل عن الغائب ويذهب لزيارة من تخلف عن الحضور الى الديوان ويتعرف الكبار على الصغار والعكس ويتذكرون حكايات الماضي وقصص التراث والتاريخ لمدينة نابلس.

18. وبسبب غياب دولة المؤسسات والقانون الحضاري في سنوات الأحتلال لجأ المواطن الفلسطيني بأستمرار الى العائلة والديوان كبديل عن السلطة المركزية حتى يشعر بالحماية ويحافظ على ممتلكاتة وصيانة شرف العائلة وعدم المس بالاخرين وكل فرد من افراد العائلة يعرف ما له من حقوق وما علية من واجبات حتى اصبح الديوان يقدم خدمات حقوقية من الصعب الاستغناء عنها في المجتمع الفلسطيني .

وظيفة الديوان في الحاضر:

مع تغير الحياة وتزايد أعداد العائلات تغير الدور الذي يقوم به الديون، فلم يعد دور الديوان بنفس القوة التي كان عليها في السابق، واقتصر دور الديوان في الوقت الحاضر على المناسبات الاجتماعية كالاعراس، العطوات، العزاء، والتجمع في أيام العيد لتبادل التهاني بين افراد العائلة الواحدة وأفراد العائلات الاخرى، ولم يعد للديوان دور كبير السيطرة على افراد العائلة كمان كان في السابق أو المساهمة في الحياة الثقافية والاقتصادية.

ومع ذلك ازداد إهتمام العائلات بالدواوين واقامتها، حيث أصبح الديوان ضرورة لازمة لكل عائلة لابد منها، وعدم وجود ديوان يعد على أنه تقليل من قيمة العائلة.

في الغالب من اجل حالات الوفاة وفتح باب العزاء والتجمع في فترة الانتخابات النيابية والبلدية والاجتماعات الطارئة والسنوية.... ثم تغلق الأبواب " وبعدها يا عالم متى تفتح من جديد

أن اللحمة الاجتماعية في نابلس مثال يحتذى على التواد والتراحم والصلات والعلاقات المتينة بين الأفراد، ووقفة الناس إلى جوار بعض في المناسبات المختلفة وفتح أبواب البيوت والساحات وسطوح المنازل للجار والقرابة عادة متبعة منذ القديم. مع التقدم والتطور وزيادة أعداد السكان وتغير مفاهيم كثيرة في الحياة ولدت أفكار هادفة في تلاحم وترابط أفراد العائلة الواحدة إلى بناء مضافات ودواوين لتخفيف العبء والإحراج عن كثير من العائلات، أن نشأة المضافات والدواوين في مدينة نابلس يعود إلى الثلاثينيات من القرن العشرين حيث كانت ملتقى لأهل المدينة ومنتدى لدراسة أحوال المدينة وحل المشاكل العائلية وللضيوف والزائرين للمدينة وكانت تقدم الأكل والشرب والمنام, ولم تقتصر على العائلة الواحدة، وبرزت أفكار بناء المضافات من جديد لتجديد وتعميق الأواصر بين أبناء العشيرة الواحدة بجهود واشتراكات مادية ميسرة ورمزية لبناء صرح يتوافد إليه الجميع كبيت واحد. ثم تطورت المضافات وبدأت تنتشر بشكل ملحوظ في أواخر الثمنينات في أحياء المدينة لتصبح عنوان بارز وثابت سهل الوصول إليه بكل يسر.

مساوئ الدواوين العائلية(في حالة تبني العصبية الجاهلية):

ويذكر أن من مساوئ بعض الدواوين العائلية أن البعض يستخدمها لنثر العصبية العائلية والعشائرية أو القبلية السياسية الحزبية المقيتة بين العائلات النابلسية ، وكذلك يستقوي بها البعض على عائلات أخرى ، أو أشخاص آخرين ، وقد تسبب أضرار صحية جراء التدخين الكثيف والشيشة المنفلتة من عقالها ، فتخرج هذه الدواوين عن الأهداف والغايات المرسومة من أجلها وهي الود والمحبة والتعاون والتكافل والتعاضد ضمن بوتقة الشعب الواحد والأمة الواحدة .

وجاء في صحيح مسلم - (ج 9 / ص 392) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ " .

وجاء في سنن أبي داود - (ج 13 / ص 325) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ " .

تجمع دواوين عائلات الديار النابلسية:

لاهمية دور الدواوين العائلية واثرها في النواحي الثقافية والاجتماعية في الحياه اليومية ، اجتمعت بعض عائلات مدينة نابلس في نهاية سنة 2011 وأسست تجمع يضم معظم دواوين العائلات القائمة لتوحيد الجهود ما بين الدواوين للعمل العام وخدمة الديار النابلسية والمحافظة على تراثها وثقافتها وتم تشجيع العائلات الاخرى بالانضمام في حالة تكوين ديوان لها ، وتم الاتفاق على ميثاق عهد وانتماء لدواوين العائلات النابلسية واعتبر هذا الميثاق هو الاساس لإنضمام أي ديوان للتجمع بعد تحقيق الشروط المطلوبة والموافقة على الميثاق وقد تم التوقيع على هذا الميثاق بالإضافة إلى ممثلين الدواوين كل من محافظ محافظة نابلس ورئيس بلدية نابلس ورئيس غرفة تجارة نابلس وقاضي نابلس الشرعي شهادة على الميثاق.



بسم الله الرحمن الرحيم "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"

ميثاق عهد وانتماء لدواوين عائلات الديار النابلسية

لأنها كانت و ما زالت مدينة التاريخ العريق و التراث الأصيل ، و لأنها مدينة العلم و العلماء و منارة الأدباء و الشعراء و المثقفين و علماء الدين و رجال الفكر و الوطنية الصادقة ، ولانها في وجدان فلسطين و قلبها النابض وعاصمتها الاقتصادية ، ومن اجل الحفاظ عليها والعمل على تعزيز روح الأخلاق الحميدة و التحدي والصمود لدى ابنائها و بناتها ، فقد توافقت مجموعة من دواوين عائلات الديار النابلسية على وضع ميثاق عهد وانتماء للعمل من خلال بنوده على تعزيز المشاركة الفاعلة لأبناء نابلس والعمل على رفعة مكانتها وطاقات مواطنيها وحفظ دورهم المميز في خدمة الوطن بكل أمانة و إخلاص و الحفاظ على الخلق القويم و النهج السليم والعادات الحميدة الموروثة عن ألاباء والأجداد ، وذلك عبر تفعيل طاقات هذه المدينة الباسلة الكامنة في جميع المجالات الوطنية و الدينية والاجتماعية و العلمية و الإقتصادية والثقافية و الرياضية و التربوية و النضالية.

لهذا كله، فقد توافقت العائلات الموقعة على هذا الميثاق على البنود التالية:

بنود ميثاق العهد والانتماء :

1. ايجاد جسم فاعل يشمل اكبر عدد ممكن من داووين عائلات نابلس يكون مسانداً لمؤسسات المدينة و عنصراً نشيطاً في وضع الخطط و البرامج الطموحة خدماتياً و تنموياً و العمل على تنفيذها من أجل تعزيز مكانة مدينة نابلس ومؤسساتها.
2. الحث على إنشاء صندوق تكافل داخلي لكل ديوان ، من اجل تلبية حاجات بعض افراده والعمل على زيادة تعاضد أهل المدينة و تعاونهم على البر و التقوى المشهود لهم عبر التاريخ.
3. تفعيل دور الدواوين بما يقّوي علاقة افرادها بعضهم ببعض و بين المجتمع ، وخاصة الأجيال الناشئة في المدينة والعمل على توعيتهم بدورهم الهام المأمول في بناء مجتمع سليم خالي من السلبيات.
4. العمل الدؤوب للحفاظ على إرث البلدة القديمة العمراني والتراث التاريخي للمدينة ، وإبراز الأنجازات العظيمة التي قام بها أبناء المدينة ، رجالاً ونساءً ، عبر التاريخ من إنشاءٍ للمدارس و المستشفيات و الحمامات الأثرية و المصانع و المصابن و دور العبادة و غيرها .
5. الحث على الالتزام بالعادات والتقاليد الحميدة للمجتمع النابلسي والتخلص من العادات السلبية و الغير مفيدة.
6. احياء مبدأ المشاركة في المناسبات الاجتماعية و الدينية و الوطنية و الحثّ على العمل من أجل مستقبل أفضل للأجيال القادمة.
7. دعوة رجالات نابلس ونسائها و مثقفيها للتوجه الى أبنائهم المغتربين في كافة أرجاء المعمورة من أجل التواصل مع مدينتهم الأم و دعمها و مساندتها و العمل بما فيه مصلحة مدينتهم و إستعادة مكانتها المرموقة في هذا الوطن ، و دعم هذا الميثاق ، ميثاق العهد و الانتماء و الإلتزام .
8. دعوة دواوين عائلات نابلس القائمة للإنضمام إلى هذا الميثاق مع إبقاء الباب مفتوحا للعائلات الأخرى للإنضمام إليه في حال تكوينها ديوانا يمثلها.

9. كل من ينضم و يوافق على هذا الميثاق و يلتزم ببنوده من دواوين عائلات الديار النابلسية يعتبر عضواً.
10. أي تعديل أو إضافة على بنود هذا الميثاق يكون بعد سنتين من إقراره وبالتوافق.

النتائج والتوصيات:

تعد الدواوين مؤسسة مهمة في حياة أهل مدينة نابلس في الماضي والحاضر، وقد قام الديوان خلال كل الفترات بدور مهم، تغير هذا الدور مع الايام وخاصة في الوقت الحاضر، فلم يعد دور الديوان بنفس القوة التي كان فيها بالسابق، ولكن مع ذلك ظل الديوان عنصرا اساسيا مهما لم تستغن العائلات النابلسية عنه، بل على العكس تعد ظاهرة الدواوين ظاهرة منتشرة في الوقت الحاضر وسعت كل العائلات التي ليس لها ديوان الى انشاء ديوان خاص بها.

من هنا لابد أن بدا الشباب يفكر في أهمية الدور الذي يقوم به الديوان على مدار العام بحيث لا يقتصر على مناسبات محددة بل يجب أن تتغير النظرة والوظيفة والهدف وذلك تمشيا مع المتغيرات والمستجدات في الحياة الاجتماعية والعامة نتيجة التطور والتقدم وزيادة أعداد السكان والظروف الاقتصادية التي تواجه الناس وكذلك ماطرأ من تغير على بعض العادات والتقاليد.

من هنا لابد أن يكون للديوان دور هام في المجتمع كبؤرة لأمة وحلقة اتصال دائمة مع المجتمع ومناقشة الهموم والقضايا التي تهم المواطن والوطن مما تنعكس عليه بالخير والعطاء,وملتقى ومنتدى ثقافي واجتماعي يجمع أبناء العشيرة على المحبة وتجديد النسيج الاجتماعي المتماسك وإيجاد الحلول المناسبة للقضايا والهموم الأسرية والعشائرية،

أن دور الديوان والمضافة يجب أن يكون مدرسة وصرحا علميا ومنبرا للرأي والتعليم والمساعدة ومد يد العون والأخذ بيد الأبناء للوصول بهم إلى مراكز متقدمة من العلم والوعي الاجتماعي ومساعدة من يحتاج إلى مساعدة لبناء وحدة متماسكة تشد بعضها البعض لبناء مجتمع قوي متماسك منتمي لهذا الوطن،

من هنا تبرز أهمية ودور اللجان المشرفة على الدواوين في عملها المخلص والمنصب على الترابط والتواصل وتعميق جذور الألفة والوحدة, ووضع برامج ثقافية هادفة وإحياء الأفكار والتطور مع ظروف الحياة المتغيرة, والعمل ضمن حدود المصالح المشتركة التي تؤلف وتجمع الأفراد على قلب واحد وخدمة الصالح العام لتنمو بذور المحبة وتمتد جذور المودة في ارض طيبة العطاء، أن دور الدواوين يجب أن يمتاز بالشمولية في تقديم برامج ومقترحات وفتح أبواب الديوان ضمن أسس مدروسة لمختلف المناسبات التي تهم أفراد العائلة وتخفيف عبء المناسبات التي تثقل كاهل الناس في هذه الأيام، أن ظاهرة الدواوين مبادرات حسنة طيبة تساهم في بناء وحدة العائلة, تقرب بين الأفراد وتجمعهم على التالف والحب في بيت العائلة.

التوصية النهائي:

اعادة احياء دور الدواوين في الحياة الاجتماعية والثقافية للدواوين القائمة وعمل دواوين للعائلات التي ليس لها ديوان بنظام مؤسسي فاعل يقوم على تقوية الاسرة الواحدة وتماسكها وتعاضدها فيما بينها أولا وبينها وبين المجتمع المحيط بها ثانيا.